تفسير ظاهرة التكرار في القرآن الكريم
استنادا إلى المناسبة: فهم علاقات الترابط بين آياته
لـ "د. سلوى محمد العوا"

ترجمة: أمل الترزي

ترى "جين إيتشيسون" في مقالها الافتتاحي لكتاب يتناول التكرار في الأدب واللغة أن "لا أحد يثق تماما في مدى نجاح التكرار في الأدب أو في اللغة".[١]

وينطبق هذا على النص القرآني الذي كان التكرار فيه موضع خلاف مثير للجدل؛ وبناء على ذلك انتقد الذين اعتقدوا أن القرآن يشتمل على الكثير من مواضع التكرار غير اللازمة بشدة لغة النص القرآني. بينما أسس من اعتزموا الدفاع عن النص القرآني دفاعهم على أن ما يبدو تكرارا ليس في الحقيقة تكرارا حرفيا؛ إنما يتنوع ما يقوله النص في كل مرة يرد فيها ذكر موضوع ما.[٢]

فالتكرار في الحقيقة ظاهرة تشيع في القرآن على نحو لا يمكن لأي تحليل جاد للغة القرآن أن يتجاهلها. إنما هو من التقنيات التي يعمد إليها النص القرآني باستمرار سواء في السور المكية أو في السور المدنية، لكي يحقق مقاصد متنوعة منها الجمالي، ومنها البلاغي، ومنها ما يختص بتماسك بنية النص، ومنها ما هو طقسي، ومنها يرتبط بالإبلاغ. ودراستي هذه تعنى بدور التكرار في الإبلاغ.[٣]

- الدكتورة سلوى العوا محاضر في الدراسات العربية بجامعة سوانزي البريطانية. تخرجت في جامعة عين شمس عام ١٩٩٢ .و حصلت على الماجستير عام ١٩٩٧في تحليل دور السياق في تحديد معنى الألفاظ متعددة الدلالة في القرآن. وفى عام ٢٠٠١ حصلت على الدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن، فى تحليل العلاقات النصية فى القرآن مستخدمة فى ذلك مبادئ نظرية المناسبة. درست اللغويات القديمة والحديثة فى جامعة عين شمس منذ تخرجها،ثم واصلت عملها فى التدريس الجامعى والبحث العلمى فى جامعة برمنجهام ببريطانيا حيث تخصصت في الدراسات الإسلامية عامة والقرآنية منها خاصة. بين عامي ٢٠١٠- ٢٠١٥ . وتدرس من عام ٢٠١٦ بجامعة سوانزي بمقاطعة ويلز البريطانية. نشرت لها مؤلفات عديدة في تطبيق اللغويات الحديثة على النص القرآني، منها رسالة الماجستير بعنوان الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم، ورسالة الدكتوراه بعنوان The Text of the Qur'an: relevance, coherence and structure ولها عدة دراسات علمية منشور في بريطانيا والولايات المتحدة.
- المراجع: د.حسنة عبد السميع. أستاذ مساعد الأدب والنقد القديم بقسم اللغة العربية بآداب عين شمس. لها دراسات عدة بالعربية والإنجليزية منشورة في مصر والجامعات الأوربية، ولها كتب ومقالات مترجمة منشورة في المركز القومي للترجمة ومجلة الألسن للترجمة.

1- Jean Aitchison, ""Say, Say it again, Sam": The Treatment of Repetition in Linguistics" in Repetition, ed., A. Fischer (Tubingen: Narr, 1994), 17.

٢- انظر: زلط، محمود قاسم: قضايا التكرار في القصص القرآني، القاهرة، دار الأنصار،١٩٧٨.

٣- يميز النحو والبلاغة العربية بوضوح بين التكرار الموفق والتكرار غير الموفق، كما يسند كلاهما وظائف بلاغية ونحوية للتوكيد والإطناب مع الاستشهاد في أحيان كثيرة بأمثلة مقتبسة من القرآن. ومع ذلك تنصب دراستي هذه على ما يقوم به التكرار بالنسبة للإبلاغ أكثر من أي وظيفة أخرى من وظائفه التي ستأتي الإشارة إليها في أضيق نطاق

تهدف دراستي هذه إلى تحديد وظيفة مواضع التكرار في القرآن والمعاني التي تحملها وتبلغ بها. كما تهدف إلى توضيح طريقة كيف يؤدي التكرار وظيفته. لذلك سأقوم بدراسة مجموعة كبيرة من مواضع التكرار في القرآن، في إطار جديد لفهمه.

وأبدأ بتصنيف أنواع التكرار – بناء على النموذج الذي اقترحته "ديبورا تانين"– وأسوق الشواهد القرآنية على كل صنف منها. ثم أقوم بعد ذلك بشرح إطار العمل الأساسي الذي يعتمد عليه تحليلي اللغوي. ووفقه أحلل نماذج التكرار التي سبق ان ذكرتها مع توجيه عنايتي لسياقات ورودها وما تضيفه إلى معانى النص، وأوضح أسلوبها في إبلاغ تلك المعاني الإضافية.

وأختتم باستخلاص نتائج تأمل الدور الذي يقوم به التكرار في السرد القرآني بنحو موسع؛ وعلى الرغم من تناول هذا النوع من التكرار من قبل في بحث مطول، فإن دراسته ظلت تفتقر إلى إطار مكتمل من المصطلحات التقنية، عملت على طرحها في دراستي هذه.

تصنيف أساليب التكرار القرآنية:

تختلف معايير تناولي التكرار عن تصنيفات البلاغة القديمة التي استغرقت أشكال التكرار المتنوعة.[1] وكما ذكرت سابقا، فإن نطاق التكرار الذي أتناوله في هذه الدراسة يسترشد بالمقاييس والأبعاد التي رسمت حدودها له "ديبورا تانين".[2] وهي مقاييس متعددة تعمل من جهتين: الأولى عندما يجري التكرار على لسان المتحدث نفسه، والثانية عندما يأتي التكرار على لسان متحدث آخر.

ويكاد يصدر التكرار في القرآن عن متحدث ضمني، فيما عدا الحوار الذي يأتي في سياق تاريخي أو في سياق تفنيد أو دحض الحجج؛ كأن يكون عن رب العزة مثلا. وفيما يلي سوف أوضح كيف تتوزع أساليب التكرار القرآنية على المقاييس الأربعة بناء على تصنيف "تانين" التكرار على لسان المتحدث نفسه:

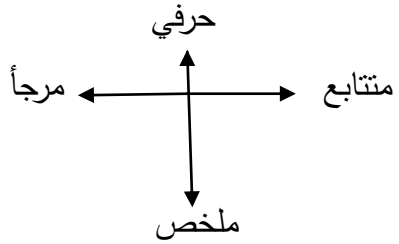

1- Aitchison, "Say, Say it again, Sam", p. 19.
2- Tannen, Talking Voices: Repetition, Dialogue and Imagery in Conversational Discourse (Cambridge: Cambridge University Press, 1989).

لقد قمت اعتمادا على مقاييس تانين الموضحة أعلاه بتصنيف أسلوب التكرار القرآني على أساس من أنماط أربعة رئيسة يمكن أن تتفرع منها أنماط أخرى، غير أني أقتصر في هذه الدراسة على تحديد الأمثلة التي تندرج تحت تلك المجموعات الرئيسة الأربع على النحو التالي:

١. التكرار الحرفي المتتابع:

لا يرد هذا النوع بكثرة في القرآن على الرغم من وجود بضعة أمثلة شائقة في سورة الفجر (الآيات٢٢ -٢٣) في قوله تعالى:" كلا إذا دكت الأرض دكا دكا، وجاء ربك والملك صفا صفا"، وفي سورة الواقعة (الآيات١٠-١١) في قوله تعالى: "والسابقون السابقون أولئك المقربون". ويتمثل هذا النمط من التكرار كذلك في وحدات لغوية أكبر من مثل التكرار التالي في سورة الشرح (الآيات ٥-٦) في قوله تعالى: "فإن مع العسر يسرا" ثم تكرارها على نحو متتابع دون وجود أية عناصر لغوية تفصل بينهما "إن مع العسر يسرا".

من الممكن أن يتفرع من هذا النمط مجموعة أخرى، ترد بكثرة خلال النصوص تشتمل على مواضع من التكرار الحرفي، من مثل ما نجده من تكرار في سورة التكاثر (الآيات ٣-٤) في قوله تعالى: "كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون" حيث تكرر الآية (٤) حرفيا الآية(٣) غير أنه يتوسط بين الجملتين إضافة أداة العطف(ثم).

٢. التكرار الحرفي المرجأ:

يأتي نمط التكرار الحرفي المرجأ على لسان المتحدث بعد وقوع عناصر لغوية تفصل بين أقواله المتكلم. وهذا النمط أكثر شيوعا، والمثال على ذلك نجده في سورة القارعة (الآيات ١-٣) في قوله تعالى: "القارعة ما القارعة، وما أدراك ما القارعة"، وعلى نحو ما نجده كذلك في سورة "الكافرون" (الآيات ٣،٥)؛ فجملة "ولا أنتم عابدون ما أعبد" تتكرر بعد ورود عناصر لغوية أخرى تتوسط بين الآية وتكرارها.

وثمة أمثلة أخرى تشتمل على نماذج تتركب من النمطين السابقين؛ نمط التكرار الحرفي المتتابع ونمط التكرار الحرفي المرجأ ، مما يؤلف تكرارا ثلاثيا للوحدة اللغوية، لكن مع وجود عنصر لغوي مختلف يقترن بها في كل مرة، على غرار نموذج التكرار الذي نجده في سورة القدر (الآيات ١-٣) في قوله تعالى: "إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر"، حيث تتكرر عبارة (ليلة القدر) ثلاث مرات يفصل بين وقوعها في الآية(١) وتكرارها الحرفي المرجأ فاصل لغوي يتمثل في الاستفهام، ثم يلي هذا التكرار المرجأ تكرار حرفي متتابع لها للمرة الثالثة. وبالإضافة إلى ما يقوم به التكرار من إبلاغ – سوف نناقش وظيفته بإيجاز فيما بعد– فهذا النموذج من الأهمية بمكان لأن تكرار عبارة (ليلة القدر) يستغرق ثلاث آيات من مجموع آيات السورة الخمس، مما يعني أن نسبة كبيرة من حجم السورة تعتمد على قيمة التكرار.

وهذا النموذج الخاص ببنية التكرار المركبة نجده في بضعة أمثلة أخرى قليلة، لاسيما في السور المكية القصيرة؛ حيث تنعم اللغة بكثافة بالغة، وتتميز الآيات بالقصر، ونجد الكلمات مشحونة بالمحتوى الدلالي الغزير. ويمكن أن نشهد هذا في آيات من مثل ما ورد في سورة العلق (الآيات ٩ -١٣) في قوله تعالى: "أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى، أرأيت إن كذب

وتولى"، وفي سورة القارعة (الآيات ١-٣) في قوله تعالى: "القارعة، ما القارعة، وما أدراك ما القارعة"، وفي سورة الحاقة (الآيات١-٣) في قوله تعالى: "الحاقة، ما الحاقة، وما أدراك ما الحاقة"...إلخ.

٣. التكرار غير الحرفي المتتابع:

يقع التكرار غير الحرفي عندما تعبر كلمات مختلفة عن ملخص ما قد أخبر به من قبل. ويمكن أن تحمل المعنى وتبلغ به في هذه الحال إما عن طريق تعبير الألفاظ عنه صراحة، أو عن طريق استخلاصه. وقد لا نعد استخلاص ما تخبر به الكلمات تحديدا بنفسه تكرارا مادام يمكن استخلاصه من مجموعة من الدعاوى. ويحملنا هذا إلى نطاق التكرار الحرفي لما تعبر عنه الألفاظ صراحة وبوضوح، وهو مثار جدل لاسيما لو تصورنا عدم الحرفية تصرفا تاما ومكتملا.

لم أوفق في أثناء قراءتي القرآن بأكمله في جمع الأمثلة من هذا النوع، وبدلا من ذلك تيقنت من أنه في أغلب الحالات –سوى في حالات التكرار الحرفي– يتبع الإخبار بأمر ما في القرآن ذكر آخر له يحمل معلومة جديدة.

وعلى الرغم من ذلك فلم يحسم أمر الجدل الدائر حول ورود تعليقات –تتسم بطابع التعميم في نهاية الآيات– تستخلص ما تفيده الآية نفسها من قبل. وحري بنا أن نتأمل نموذجا لهذا يتمثل في الجزء التالي من (الآية ٣٣) من سورة (البقرة) في قوله تعالى:" ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون".

غير أنني ثانية أجد أنه من الصعب أن نعد هذه الأمثلة تماما نماذج للتكرار غير الحرفي، مادام ما تخلص إليه من معلومات يختلف في كل مرة يرد ذكر الموضوع فيها. ففي هذا النوع من الأمثلة خاصة نجد المعلومات التي يحملها التعبير عنها للمرة الثانية (ما تقوله بوضوح وما من شأنها أن تحجبه") إنما يضيف لما تخبر به في المرة الأولى ("أعلم الغيب") ففيه تفصيل أحد مظاهر ذلك الغيب؛ أي ما يعلمه الناس بل ما تعلمه الملائكة: ما تبديه وما تكتمه. ومن ثم لا يعد تكرارا غير حرفي لمقول القول نفسه تماما بأي حال.

وفي القرآن أمثلة وفيرة من هذا النوع. لقد كان من اليسير تماما أن نبرهن على أن ما يقال في المرتين التاليتين بنحو متتابع لا يحمل تماما المضمون نفسه، وأن التكرار غير الحرفي يتعذر تماما مادام لا يوجد في اللغة كلمتان لهما المعنى نفسه.

لقد استبعدت البحث عن أمثلة التكرار غير الحرفي غير المكتمل بسبب صعوبة هذا الموضوع.

٤. التكرار غير الحرفي المرجأ

لقد لوحظ شيوع هذا النوع بكثرة في النص القرآني، لاسيما في السور المدنية التي تزداد كثافة حضوره فيها؛ وحيث تزداد الآيات طولا، وتعبر الآيات عن الأفكار تفصيلا، وحيث يتكرر ذكر الموضوعات في مواضع كثيرة، أو في أخبار تاريخية بعينها (كذكر قصة بني إسرائيل مثلا... إلخ)، حيث يشتمل ذكر أمر في موضع من المواضع على معلومة أغفل ذكرها في موضع آخر من مواضع ذكره أساسا، بسبب التركيز على مظاهر مختلفة من الموضوع في كل موضع ورد ذكره فيه.

قد يحدث هذا أحيانا على شكل ترديد مفهوم من المفاهيم في مواضع عدة من سور القرآن– من مثل ذكر قصر كون محمدا ﷺ بشرا أرسله الله للناس– في مناسبات مختلفة، باستخدام العبارات نفسها لتكرار المعنى نفسه لاحقا، كما في سورة الكهف (الآية ١١٠) في قوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد" وفي سورة فصلت (الآية٦) في قوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد")، حيث يتميز بتفرعه من مجموعة أو أخرى. وبعض من التكرار غير الحرفي الذي انعطف إليه القول يدرك عن طريق نوع من الاستنتاج، من مثل ما ورد في سورة آل عمران (الآية١٤٤) في قوله تعالى: "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل".

ومن الملاحظ أن هذا النمط من التكرار غير الحرفي أو من تكرار مفهوم من المفاهيم إنما يرتبط في كل مرة يرد فيها بسياق مختلف، يتألف من الرسالة التي تحملها السورة التي يقع فيها التكرار، وسياقه. لذلك قد يقوم سياق التكرار في كل مرة بوظيفة إبلاغ مختلفة. ومع ذلك يظل كل تكرار مرتبطا بسواه، مؤلفا سياقا له ورسالة مستقلة به، على نحو ما سأبين لاحقا.

الإطار النظري

في دراسة مواضع ورود التكرار المتتابع وارتباطه بعضه بالبعض الآخر داخل الحوار، يناقش أ.هـ.جاكر وظيفة التكرار في نماذج فعلية استشهد بها على ذلك.[1] وقد تمت مناقشة الأمثلة بطريقتين انطوت عليهما نظرية المناسبة؛ حيث يتحقق ارتباط الكلام/المكون اللغوي على لسان المتحدث بطريقيتن هما: (أ) بإحداث تأثيرات سياقية(تضيف إلى المؤشرات الدالة على ما يتضمنه القول)، أو (ب) بالعمل على تخفيض مقدار الجهد المبذول في فهم الكلام.

والآن أتوقف لتوضيح الأفكار التي استخدمت في هذا التحليل. فمؤلفو الكتاب الأول في نظرية المناسبة[2] يبرهنون على أن كل قول يأتي معززا بضمانات مناسبته وعلاقات ارتباطه. وهذا يعني أنه بسبب انخراط المتلقي في فهم ما يريد النص إبلاغه به لا يدرك من رسالته إلا ما ينتمي للسياق الذي يشارك فيه. أما بالنسبة لمبلغ الرسالة فهو يحاول جعل أقواله مرتبطة بالموضوع مما يعني أن الرسالة المستخلصة من القول ذات قيمة في داخل سياق يتيسر على المتلقي المشاركة فيه، ومما يعنى كذلك أن قدر الجهد الذي يبذله المتلقي والوقت الذي يستغرقه في الفهم يكافئ قدر تأثير السياق عليه. ويقاس هذا القدر بناء على تأثير السياق على المتلقي، مما يمكِّنه كذلك من أن يضيف فرضيات أخرى لمجموعة المعلومات المطروحة التي يوفرها للمتلقي وعيه المعرفي بالبيئة، أو يمكنه من أن يناقض فرضيات موجودة لديه بالفعل أو يعززها.

1- A. H. Jucker, "Irrelevant Repetitions: A Challenge to Relevance Theory" in Repetition, ed., A. Fischer (Tubingen: Narr, 1994), 47–60.
2- Sperber and Willson, Relevance: Communication and Cognition (Oxford: Blackwell, 1986, 1995).

ومن ثم يمكن للمتحدث أن يجعل أقواله مرتبطة بالموضوع إما عن طريق زيادة تأثير السياق حتى يصير الكلام مساويا للجهد المبذول (مثلا كلما ازداد ما تسهم به البيئة المحيطة في الكلام ازداد تأثير السياق). أو بجعل أقوال المتحدث مرتبطة بالموضوع بتقليل مقدار الجهد المبذول في إدراك رسالته، ومن ثم يكافئ مقدار ما يحققه تأثير السياق.

وبناء على هذا الإطار يكون على كل عنصر لغوي أن يقوم بإحدى هاتين الوظيفتين ليتيسر فهمه، ولكي يتمكن المتلقي من استخلاص الرسالة التي يحملها إليه.

وفي ضوء هذا الرأي يمكن أن تحمل قيمة التكرار بالنسبة للارتباط بالموضوع نوعا من المفارقة؛ إذ يبدو التكرار على المستوى الظاهري مجرد قول الشيء نفسه مرة أخرى، فكيف إذا يمكن إثبات أنه يضيف لتأثير السياق أو يقلل من المجهود المبذول في الفهم، لو كان لا يضيف للكلام إلا ما يفترض أنه قد فهم من قبل وحسب؟

ويختتم جاكر دراسته نمطا من أنماط التكرار بتوضيح أن ارتباط التكرار بالكلام في النماذج التي تناولها يمكن أن يكون له قيمة من نواح ثلاث هي:

١. أن يضيف المزيد للمؤشرات التي توضح الكلام explicature، وما تصرح به بوضوح من دعاوى.
٢. أن يضيف إلى المؤشرات التي تلمح إلى ما ينطوي عليه الكلام، وما يدرك ضمنا من دعاوى (من المفترض أن يتطلب إدراكها جهدا أكبر).
٣. أن يختزل الجهد المبذول عن طريق القيام" بآلية استكمال تعيد إنتاج المادة نفسها التي أدى التداخل إلى إبهامها، أو عن طريق الحفاظ على إطار مرن لبنية العبارة حتى يستقر اختيار المتحدث على العنصر المعجمي المزود بحمولة غزيرة من المعلومات.[١]

من شأن هذه الدراسة أن توسع من نطاق النقاش الذي بدأه جاكر على ثلاثة مستويات، وسوف أضيف للبعد الأول نمطين آخرين من التكرار ناقشتهما تانين في دراستها التكرار استنادا إلى نظرية المناسبة، أو بعبارة أخرى في إطار مناقشتها دور تكرار العناصر اللغوية في زيادة القدرة على استخلاص الرسالة المقصود إبلاغها. تلك هي أنماط التكرار غير الحرفي المرجأ، ونظيره غير الحرفي، بالإضافة إلى أنماط التكرار الحرفي المتتابع.

أما بالنسبة للبعد الثاني فلن أتوقف عند حدود المعلومات التي يحملها الحوار conversational data، بل سأختبر مستوى من استخدام اللغة أشد تعقيدا ومدى أوسع في القرآن، يبرهن على أن النتائج التي توصل إليها جاكر بالنسبة لقيمة التكرار ودوره في حمل المعنى والإبلاغ به لا تقتصر على الأمثلة التي تنطبق على مستوى اللغة اليومية التواصلية فقط بل تتعداها إلى مستوى الاستخدام الأدبي للغة ايضا. وأخيرا سوف أضيف لعمله تفسير تأثير السياق على مدى واسع النطاق يمتد عبر نصوص القرآن.

1- Jucker, "Irrelevant Repetitions", 57.

وما يوحي به هذا من افتراض أن أساليب التكرار في القرآن تمثل قصورا في اللغة أو عدم ترتيب المادة القرآنية الترتيب الملائم، أمر لا أساس من الصحة مجال الدراسات القرآنية

وسوف أوضح كذلك كيف يمكن أن يزودنا إطار الإبلاغ عن طريق الكلام واكتساب المعرفة بالعنصر الأساسي في تفسير التكرار في القرآن تفسيرا تقنيا منهجيا، وكذا يسهم في توضيح ما لهذا التفسير من تأثير على فهم رسالة النص.

مجموعة من أمثلة وظائف التكرار في القرآن

أعرض في هذا الجزء من الدراسة مجموعة من الأمثلة شاهدا على الأنماط التي قمت بذكرها، موضحة كيف يقوم التكرار في هذه الأمثلة بدوره في إبلاغ الرسالة، عن طريق وجود مؤشرات واضحة وأخرى ضمنية مثلا، هذا بالإضافة لتأثير السياق عن طريق تعزيز معرفة السامع بالموضوع، أو عن طريق تيسير الفهم ببذل أقل قدر مبذول من الجهد.

١. التكرار الحرفي المتتابع:

سوف أستعين عل شرح هذا النمط من التكرار بثلاثة أمثلة تتميز بتشابه بنيتها النحوية بشدة، غير أن كل واحد منها يقوم بدور مختلف على مستوى الإبلاغ.

المثال الأول: يقع في سورة الواقعة (الآية ١٠) في قوله تعالى: "السابقون السابقون" حيث يوضح تأمل سياق هذه الآية أن التكرار لا يغير في معناها، مما يدفع للتساؤل عن جدواه. غير أننا إذا تأملنا سياق سورة الواقعة (الآيات من ٨-١٥) في قوله تعالى: "فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، والسابقون السابقون، أولئك المقربون في جنات النعيم، ثلة من الأولين، وقليل من الآخرين، على سرر موضونة" نجد أن هذه الآيات تميز بين ثلاثة أصناف من الناس: (أصحاب الميمنة)، وأصحاب المشأمة) و(السابقون). ويرد ذكر كل صنف من هذه الأصناف مرتين، في المرتين الأوليين نجد أداة الاستفهام (ما) تتوسط بين طرفي التكرار، بينما نجد العنصر من الصنف الثالث يتكرر في تتابع. يؤكد هذا التكرار المتتابع أهمية هذا النمط، وصيرورة هذا الصنف من الناس الأقرب إلى الله في الآخرة يبرر بالغ تأكيد وقوع هذا التكرار المتتابع.[١]

وعلى الرغم من ذلك فنماذج التكرار المتتابع الثلاثة؛ التي يكاد النموذجان الأولان أن يندرجا ضمنها لا تضيف لمضمون الآيات الواضح، ولا يتعذر استبدالها بالمعنى المقصود نفسه، ومع ذلك فهي تحمل تأكيدا للجزاء ومصير كل طائفة من الطوائف الثلاث. والتأكيد في هذه الحال هو تعبير عن موقف السامع من الموضوع. وفي هذا الشاهد يرتبط التكرار بالموضوع، لأنه يضيف لما ينطوي عليه الكلام ضمنا

١- هذا بالإضافة إلى أننا عندما نتأمل مجمل معنى الآيات نلاحظ أن الفئتين اللتين ورد ذكرهما أولا وثانيا قد صارتا ثانويتين بالنسبة للموضوع في هذه المرحلة (إلى أن يتكرر ذكرهما مرة أخرى مقترنا بجزاء كل منهما في الآيات ٢٧-٤٠)، بينما نجد أن الفئة الثالثة فئة السابقين هي محور الاهتمام الحقيقي على نحو ما نرى في الآيات التالية (من الآيات ١١-٢٦) حيث يذكر جزاؤهم بالتفصيل.

معرفة بموقف السامع من هذه الطوائف الثلاث من الناس، ومن ثم يزيد من تأثير السياق؛ كأن يعبر عن موقف بعينه للسامع، بالإضافة لتأثير المعلومات التي توصلها مؤشرات النص الواضحة في الأصل.

ولا يبتعد المثال التالي عن أمثلة أخرى ضربها سبيربر وويلسون في تناولهما ظاهرة التكرار:[1]

هناك ثعلب، في الحديقة ثعلب.

في هذا المثال لا يعني تكرار(ثعلب) وجود ثعلبين في الحديقة، بل يبلغنا شيئا عن موقف دهشة السامع.

والمثال الثاني: الذي أقتبسه هنا من سورة الفجر (الآية٢١)، يحتمل معناه تفسيرين. وعلى الرغم من ذلك فلا شك أن البنية النحوية تعد شاهدا آخر على التوكيد على نحو ما يتمثل في الآية: "كلا إذا دكت الأرض دكا دكا". إن المفعول المطلق المؤكد بتكرار المصدر يقصد به أن يعني "المرة تلو الأخرى" أو أن يمثل إضافة لقوة الفعل كما لو كان يقول (دكا شديدا). وفي التكرار (دكا دكا) يضيف المصدر لمحتوى الكلام الصريح. في التفسير الأول يضيف أن الحدث لن يحدث لمرة واحدة بل لأكثر من مرة. وليس من الممكن فهم ذلك من العبارة لو ذكر فيها المصدر مرة واحدة. ويرى من يشايعون التفسير الثاني أن في التكرار إضافة لقوة الحدث ما كان لها أن تتحقق لو تخلينا عن التكرار. ومع ذلك فاعتبار قوة الحدث إنما تكمن في ذكر المصدر في المرة الأولى مادام التكرار للفعل نفسه الذي ذكر من قبل لا يزال مثار جدل، عندئذ يمكن أن يعد التكرار أي ذكر المصدر للمرة الثانية تكرارا للجذر اللغوي للمرة الثالثة، مما يدل في الغالب على موقف السامع بأكثر مما يدل على قوة الحدث مادام يعبر عنه التكرار الثاني (أي وقوع كلمة من نفس الجذر اللغوي للمرة الثانية لها المعنى نفسه بنحو ما).

في كل هذه الأمثلة يمثل التكرار إضافة للمعنى الذي يحمله اللفظ إما صراحة أو ضمنا، مما يعني أنه يزيد من تأثير سياق الكلام الذي يقع فيه التكرار.

والمثال الثالث ضمن هذه المجموعة يتمثل في تكرار كلمة (صفًّا) في (الآية٢٢) من سورة الفجر في قوله تعالى: "وجاء ربك والملك صفا صفا".

وعلى الرغم من أن البنية النحوية تجعل ذلك النموذج (صفا صفا) يبدو ظاهريا مطابقا للنموذج السابق الممثل في التكرار(دكا دكا)، ربما بسبب كون كلمة (صفا) اسما وليست مصدرا ككلمة(دكا)، فإن في التكرار في هذه الحال إضافة لمؤشر لفظي واضح مادام من شأن التخلي عن التكرار أن يغير المعنى من "صف وراء صف" إلى "في صف واحد".

والخلاصة أن شواهد التكرار الحرفي المتتابع أو شبه المتتابع التي ناقشناها لها دورها في الإبلاغ يمكن شرحه بناء على ما تضيفه مؤشرات الكلام الذي يقع فيه أساليب التكرار صريحة كانت أو ضمنية. وتعد هذه الإضافة إسهاما في تأثير سياق النص/الكلام ومن ثم إسهاما في ترابطه.

1- Quoted by A.H. Jucker, “Irrelevant Repetitions”, 50.

ومن ثم أخلص إلى أن هذا الصنف من التكرارات في القرآن على الرغم من إمكان تصنيف أنواعه في أنواع فرعية أخرى أكثر، هو جزء هام من الرسالة التي يبتغي النص إبلاغها.

٢. التكرار الحرفي المرجأ:

هذا نمط آخر بالغ الشيوع من أنماط التكرار أضرب المثل عليه من سورة الواقعة، متابعة هذا المثل الذي ناقشناه سابقا نموذجا للتكرار الحرفي المتتابع.

فعبارات "أصحاب المشأمة" ذكرت وتكررت لأول مرة (في الآيات ٨-٩) حيث يحمل التكرار موقف المتحدث من أهمية هذه الطائفة من الناس، وهذا التكرار كما قد أوضحت يضيف للإشارات الضمنية في النص. لكن هذه الأبنية من التكرار ليست الوحيدة في السورة، فأولها قد تكرر خمس مرات (في الآية ٢٧مرتين، وفي الآيات ٣٨،٩٠،٩١. وعلى الرغم من ذلك فالتكرار هذه المرة قد صيغ صرفيا بطريقة تختلف اختلافا طفيفا، من مثل ذكر (أصحاب اليمين) بدلا من (أصحاب الميمنة). والدور الذي يلعبه هذا التغيير في الصيغة من الممكن شرحه في ضوء الدور الذي يلعبه التكرار نفسه.

والآية "أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين" (الآية ٢٧ من سورة الواقعة) التي تكرر فيها ذكر أصحاب اليمين مرتين وفقا لسياقها تقع بين وصف ثواب "السابقين" وثواب (أصحاب اليمين) ويليها بعد ثلاث عشرة آية تكرار عبارة (أصحاب الشمال) التي تردد صدى (أصحاب المشأمة) الذين ذكروا آنفا، ويليها توضيح مصيرهم في الجحيم.

لذلك تمثل البنية على ما يبدو هنا فقرة من الموضوع؛ تشتمل على ذكر أسماء الطوائف الثلاث التي يصنف عليها الناس، ويعقبها وصف مفصل لمصير كل طائفة منها سواء أكان ثوابا أم عقابا.

إن ذكر الاسم الذي يطلق على كل طائفة بعد تفصيل شأنها بنحوٍ ما يستخدم كإحالة تربط الجزء التالي من الكلام بما عرض لها من قبل في الفقرة التي تطرح الموضوع.

وعلى هذا النحو تدرك الصلة بناء على أن الإشارة إلى طائفة ما من الناس تعد وسيلة سهلة تحيلنا على الفور لذكرها في المرة السابقة. وعندما يشرع المتلقي في استدعاء مجموعة من المعلومات كي تساعده على فهم أمر ما فإن أيسر ما يكون في متناوله هو في العادة الأمر الذي يشبهه ماديا ويقاربه، وهذا ينطبق خاصة على ما كان قد تكرر حرفيا في ذاكرة المتلقي القصيرة. ويتضح هذا خاصة في تحليل الكلام الذي يعد جزءا من نص يشتمل على فرضية ارتباطه بإخبار سابق على نحو يسهم في تأثير السياق على ما يليه. لذلك يرتبط تكرار عبارة (أصحاب اليمين) و(أصحاب الشمال) لأنها ترتبط بإدراك أمر قد ذكر آنفا، ويساعد على تعزيز معرفة السامع به. علاوة على أنها الطريقة التي يربط بها التكرار المؤجل أجزاء النص معا كذلك. فهي تتيح الفرصة مثلا لإدراك معلومة ذكرت آنفا عن الأمر نفسه، وتشير إلى العلاقة بين فقرات النص أو أجزاء منه متنوعة ومتوالية أحيانا.

في نص على غرار نص القرآن – يقرأه المسلمون مرارا– يضيء فهم ارتباط أجزاء النص على هذا النحو التحرك رجوعا للخلف وتقدما للأمام. فالتقدم للأمام يتم في القراءة الأولى أما الرجوع للخلف فيتم مع قراءة كل عنصر تال، عندئذ تتجمع لدى القارئ معلومات أكثر عن أمور تكرر ذكرها. ويترتب على ذلك أنه عندما يذكر أمر ما للمرة الأولى في النص نجد أننا بدلا من اعتباره يذكر للمرة الأولى نتناوله

كموضوع مكرر، مما يجعل لتكراره من ثم تأثيرا على الإبلاغ، كما يكون له القدرة على إتاحة كل المعلومات التي يمكن تذكرها من القراءات السابقة، ومن ثم يتصاعد تأثيرها.

وفي النهاية قد يتعلق تكرار كل عبارة في المرة الثانية بصيغة صرفية مختلفة بأن هذا التكرار الثاني يستدعي إلى الذهن ذكر الأمر للمرة الأولى –الذي استخدم صيغة معجمية أقل شيوعا–ومن ثم يجعل التكرار الأمر الذي يرتبط ذكره في المرة السابقة بعلاقات سياقية واضحة يبدو أقل غموضا. ولاحظ أن الأمر الوحيد الذي تكرر ذكره للمرة الثانية منذئذ هو (أصحاب اليمين)، أي الأمر الأشيع والأقرب، مما يعزز تبرير أن التغيير في الصيغة كان للتوضيح، وأنه بمجرد بلوغ ذلك التوضيح تنتفي الحاجة لوجود إشارة جديدة للتعبير الغامض الذي استخدم من قبل.

ويبدو أن لتكرار عبارة ذكرت سابقا للمرة الثالثة على نحو ما ورد ذكره (في الآية ٣٨) وظيفة مختلفة؛ من مثل الإضافة إلى ما يفهمه السامع من موقف المتحدث وما قد اختص به. فالآية تأتي بعد ذكر قائمة من الجزاء الذي تفوز به هذه الطائفة من المؤمنين الذين تكرر ذكرهم وخصتهم به الآية ("لأصحاب اليمين"). ولا يضيف التكرار هنا للمؤشر الواضح، لأن الآية تقول شيئا قد استخلص من قبل (في الآيات ٢٧–٢٨) في قوله ("وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين* في سدر مخضود"). لكنها تؤكد أن هذا الجزاء لهم خاصة دون سواهم عن طريق دخول اللام (لأصحاب اليمين)، ولو حذفت هذه اللام لغاب معنى التأكيد والتخصيص. إنها تتيح كذلك إضافة بعض المعلومات الخاصة بتعريف هذه الطائفة من الناس بمضمون مشابه قد سبق التعبير عنه في "السابقون"، أي إن بعضهم سيكونون من الأمم السابقة وبعضهم من الأمم التالية. ومرة أخرى يتيح لنا تكرار التعبير معلومات أكثر عن أمور ذكرت من قبل ومن ثم يتيح لنا إدراك ما يرتبط بها.

ويربط آخر تكرار– يذكر طائفة من الناس مرتين في الفقرة الختامية من السورة بالطريقة نفسها–ما كان قد قيل بما يستخلص في نهاية النص.

وثمة نموذج آخر للطريقة التي تلعب بها أساليب التكرار الحرفية المرجأة دورها في الإبلاغ بالرسالة التي يقصد النص إبلاغها، يتمثل هذا النموذج في تكرار السؤال(أرأيت؟) في سورة العلق (الآيات ٩–١٤) في قوله تعالى" أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى، أرأيت إن كذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى؟"

لقد تكرر السؤال (أرأيت؟) مرتين بعد ذكره في المرة الأولى (الآية ٩). وكل مرة يعاد فيها السؤال نجده يبتدئ جملة نحوية يمهد لإخبارها عن مضمون ما. وفي السؤال نفسه استهلال، ما يعني أنه لا يحتوي في الحقيقة على أي جزء من المعلومة التي تتضمنها الجملة النحوية من بعده، بل يشرك كلا من القارئ والسامع في الحوار، ويسمح لهما بتصور أن ما تقوله الآيات هو ما يشهدانه بالفعل، بينما تتمثل البداية الحقيقية للخبر عندما يبدأ الموقف يكشف عن وجود شخص يمنع الآخرين من الصلاة، شخص لا يمكنه أن يكون على الهدى، شخص لا يعلم بأن الله يراه دائما. وبعض هذه الدعاوى يستدل عليها عن طريق الإجابة عن السؤال ضمنا بدون تعبير النص عنها صراحة.

يمكن أن نرى في إشراك المتلقي في خلق مضمون النص على هذا النحو سبيلا لاختزال قدر الجهد الذي يبذله في الفهم، مادام المعنى المقصود يقترب من محيط وعيه الشخصي المعرفي الذي ييسر له إدراك ما مضمون النص، مقارنة بما كان سيبذله لو كان عليه أن يستخلصه من سياق بالمقارنة يتعذر عليه.

يعد تكرار السؤال من الوسائل التي يحتفظ النص عن طريقها بمشاركة المتلقي؛ حيث يظل السؤال يوجهه نحو ما يورده السياق نفسه بعد ذلك، ويوجهه كذلك للبحث عن معلومات ضرورية يطرحها السياق كي يتيسر له فهم المعنى من المصدر نفسه، ومن ثم نضمن بذل أقل قدر من الجهد في إدراك تلك الدعاوى.

باختصار إن تكرار العناصر اللغوية نفسها تكرارا حرفيا مرجأ يزيد من المناسبة التي تقوم على أساسها علاقات ترابط النص الذي تقع فيه بطريقة أو بأخرى من الطرق الأربع التالية: إنه يضيف للمؤشرات التي تأتي من خارج ما ذكر في النص، أو يضيف للمؤشرات التي ينطوي عليها ما ذكر في النص، أو هو يتيح لنا إدراك أمر قد ذكر من قبل، ومن ثم يزيد من تأثير سياقه و/أو تأثير سياق ذكره في المرة السابقة، أو يمكنه أن يساعد في النهاية على تقليل قدر الجهد المبذول في الفهم عن طريق توجيه القارئ شأنه شأن ما يفعله السياق المحيط الذي يجب أن يتيسر له لكي يفهم مضمون النص.

هذا النمط من التكرار شائع في النص القرآني، بحيث يمكن أن يقال إنه أحد أساليبه الهامة لزيادة المناسبة، فهو على سبيل المثال يزيد من فعالية إبلاغه رسالته ومعانيه، كما أنه يسلط الضوء على الروابط النصية (كما تجلى في الأمثلة التي ذكرناها سابقا من سورة الواقعة الآية ٥٦).

٣. التكرار غير الحرفي المتتابع:

لم أجد كما كنت قد ذكرت فيما سبق أمثلة من القرآن على هذا النمط من التكرار.

٤. التكرار غير الحرفي المرجأ:

للتكرار غير الحرفي المرجأ الذي يلخص مضمونا سبق ذكره شأن التكرار الحرفي المرجأ نطاق من وظائف الإبلاغ.

أهم شيء أن التمكن من فهم مجموعة كبيرة من الوحدات التي يتكون منها المضمون الخاص بمفهوم ما أو بمجموعة من الدعاوى إنما يتألف على امتداد أجزاء أرحب من النص. ويتنوع موضوع هذه النماذج من التكرار ومواقعها أحيانا داخل السياق؛ مما يجعلها تقوم بدور مضاعف.

وأول هذه الأدوار وقوع التكرار افي سياقات تتابع مما يعزز تطور النقاش في السورة التي يقع فيها. وثانيها يتعلق بمواضع ذكر الموضوع نفسه على امتداد النص القرآني مما يتيح لنا فهم معلومة جديدة عن الموضوع، كما يربط هذه المعلومة الجديدة بمواضع المعلومات الأخرى التي سبق ذكرها فيها. ويعني هذا أنه مع كل تكرار غير حرفي يلخص الموضوع نفسه يضيف السياق لهذا الموضوع معلومة جديدة. على هذا النحو تأخذ رسالة القرآن الرحبة في التنامي شيئا فشيئا مع كل مرة يعبر التكرار عن ملمح من ملامحها ويذكره، حتى تكتمل عبر هذه التكرارات.

ونجد في المادة التاريخية في القرآن نموذجا على هذا النوع من التكرار حيث تتكرر هذه المادة في مواضع كثيرة، تختلف بعض تفاصيلها في كل موضع من مواضع ذكرها. واختلاف التفاصيل في كل موضع مرده إلى اختلاف بؤرة التركيز في كل مرة يذكر فيها الموضوع بناء على الرسالة التي ترمي السورة إلى إبلاغها؛ بيد أنه ثمة رسالة خاصة يبلغها ذكر الحدث في كل مرة يرد فيها.[١]

ثمة مثل لهذا النموذج من نماذج التكرار نجده في ذكر قصة نوح التي ترد في القرآن أكثر من اثنتي عشرة مرة نختار منها نموذجا يقارن بين موضعين؛ أحدهما يقع في سياق يذكر قصة نوح باختصار بالغ في سورة العنكبوت (الآيات ١٤-١٥) في قوله تعالى: "ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون*١٤ فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين*١٥)، والآخر يرد بالتفصيل في سورة نوح.

والنموذج الأول يرد في سياق سورة العنكبوت (الآيات ١٢-١٥) في قوله تعالى "وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم، وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون، وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون، ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون، فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين". في سياق هذا النموذج يتم التمييز بين مصير الذين آمنوا برسالة ربهم واتبعوا سبيله والذين كفروا وأعرضوا عنها. ويتسع السياق ليشتمل على عِبر من تاريخ أقوام آخرين كفروا برسالات ربهم فعاقبهم، ويشرع في طرح مفاهيم متعددة تتعلق برسالات الأنبياء وعدم وجود سلطة لهم على الناس، وسنة الله في خلقه وفي معاملة الأمم على مر الزمان وامتداد التاريخ. فتروي الآيات تاريخا مختصرا لقوم نوح الذين لم يستجيبوا لدعوة نبيهم وذهبت جهوده لهداهم سدى، ومصيرهم بالمقارنة لمصير من آمن بنوح واهتدى معه.

ويرد ذكر هذا الخبر في عدد من السور في سياقات كثيرة، وعلى الرغم من تنوعها، فكل سياق من سياقات ذكرها يضيف لقصة قوم نوح ولمصير كل الأقوام من المكذبين. وفي السياقات الأخرى التي تكون فيها القصة في بؤرة خطاب أكثر امتدادا يعرض قدرا أكبر من التفاصيل التاريخية، وتتوزع العبرة على عدد أكبر من الوحدات الأصغر على غرار ذكر القصة في سورة نوح التي خلصت بأكملها ل ذكر قصة نوح وقومه. لقد احتل كل ملمح من ملامح علاقة نوح بقومه موضعا مركزيا في بؤرة الاهتمام على نحو يطور هذه العلاقة: إصرارهم على الكفر وحزنه لإعراض قومه عن دعوته ودعائه عليهم،-ثم تحقق وعد الله له، واستمرار دعوات نوح على قومه وتوسله لربه ألا يترك على وجه الأرض كافرا وأن يمنح غفرانه للمؤمنين، أولئك الذين تختتم السورة بدعائه لهم.

١- يشير عبد المنعم السيد حسن باختصار شديد في دراسته الموسعة التي تتناول ظاهرة التكرار في القرآن: الدور الذي يلعبه التكرار غير الحرفي المرجأ في الربط بين سور مختلفة، لكنه لم يبلغ به حد تفسير الطريقة التي يعمل بها. وهو يؤكد هذا الدور كذلك بدون الاعتماد على أسس نظرية، فكل تكرار لعنصر ما "إما أن يضيف معلومة جديدة أو أن يثبت فكرة أو أن يعزز معتقدا ". عبد المؤمن السيد حسن: ظاهرة التكرار في القرآن (القاهرة، دار المطبوعات الدولية، ١٩٨٠)، ص٢٨، ٣٤.

تعبر هذه السورة عن أكثر الملامح إنسانية في شخصية نوح تعبيرا مفصلا ممتدا لدعواته وأسفه على رفض دعوته في سورة نوح، بينما تذكر القصة باختصار في سورة العنكبوت في بسياق أكثر شمولية. لذلك فذكر القصة في سورة العنكبوت يحمل رسالة مختلفة عن الرسالة التي تحملها القصة وتعبر عنها سورة نوح. والقصة في سورة العنكبوت أكثر شمولية كما أنها ترد في سياق أشد جدلا، وما يستخلص منها فيها يختلف كلية عما يستخلص منها في سورة نوح، على النحو الذي يتجلى به ذكر التفاصيل المتنوعة ومضمون القصة في كل سياق ذكرت فيه من السورتين. وعلى الرغم من ذلك فكل سياق منهما يرتبط بشدة بكشفه عن معلومات مختلفة عن حياة هؤلاء القوم ونبيهم. فالقصة والعبر المستمدة منها في النص القرآني لا تكتمل إلا باكتمال كل السياقات التي ذكرت فيها القصة أو لخصت، مادام كل تكرار يضيف لسياق البيئة التي تحيط بالقصة إبان تطورها التدريخي، والعبر التي نتعلمها من القصة والمفاهيم التي تحيط بها وأساليب التعبير عنها صراحة وضمنا. لم تكن المعلومات هي الأمر المهم وحسب بل لما يسهم به معنى القصة في الفكر القرآني أهميته كذلك.

وعلى مستوى آخر مستوى: نجد أن كل مرة يمر فيها قارئ القرآن بأحد سياقات التكرار تتبادر إلى ذهنه سياقات أخرى تَردد فيها ذكر القصة نفسها، لأنها حاضرة في ذاكرة القارئ، ولوجود تشابهات بين هذه السياقات والسياق الذي يعرض للقارئ عندئذ. هذا بالإضافة إلى أن بعض السياقات التي تتاح للقارئ بتفاصيلها المختلفة التي تحمل مضامين مختلفة، من شأنها أن تضيف للمفاهيم التي طورتها القصة وقام القارئ باستخلاصها. هذه طريقة أخرى يزيد بها التكرار المرجأ من تأثير السياق عن طريق تمكين القارئ من إدراك دعاوى مختلفة تتنوع علاقاتها المباشرة بالمضمون الذي يتكرر.

ثمة نمط آخر من أنماط التكرار غير الحرفي المرجأ يظهر على نطاق أضيق من نطاق القصص، هو نمط نطاق تكرار المفاهيم الأساسية للرسالة القرآنية، من مثل مفهوم أن النبي محمدا ﷺ ليس إلا بشرا رسولا، وهو مفهوم قد تكرر في مناسبات عدة منها ما جاء بتكرار الكلمات نفسها في سور مختلفة من القرآن الكريم كسورة الكهف (الآية ١١٠) في قوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا" ، وكسورة فصلت(الآية ٦) في قوله تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين" ، أو بتكرار المفهوم مع اختلاف طفيف في الكلمات كما في سورة آل عمران (الآية ١٤٤) في قوله تعالى "وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين"؛ حيث يرتبط مضمون الآية المتعلق بأن محمدا ﷺ ليس إلا بشرا بسياق آخر مختلف في كل مرة يتكرر فيه ذكر هذا المفهوم. في هذا النمط يعيد كل تكرار مرجأ ذكر هذا المفهوم لكن في سياق مختلف يعززه (بناء على السياق الواقع فيه ذكر المفهوم في تلك اللحظة)، ويعمل على غرار ما يقوم به تكرار القصص القرآني.

إن تكرار هذه المفاهيم يستدعي مواضع ذكرها الأخرى، ويثري محيط وعي القارئ المعرفي بما يضيفه التكرار للسياقات التي يرد ذكرها فيها، فيقيم علاقة استثنائية بين السياقات المتنوعة التي يتكرر فيها ذكرها، وتمكن هذه العلاقةالمناسبة في النهاية للسياقات المختلفة التي تتعلق بمعلومة بعينها من أن تسهم في بصياغة مجمل المضمون الذي تعبر عنه مجموعة أخرى من الآيات.

والخلاصة أن التكرار غير الحرفي المرجأ يقوم له أدوار رئيسة ثلاثة في الإبلاغ بالرسالة القرآنية: الأول: من حيث يضيف إلى المؤشرات الواضحة التي تقع خارج الكلام المذكور explicatures وتقوم بتطوير مفاهيم وموضوعات بعينها. والثاني: من حيث يضيف للمؤشرات الضمنية التي تنطوي عليها سياقات ذكرها المتتابعة، عن طريق لفت الانتباه إلى علاقات بعينها قائمة بين موضوع الفكرة التي تكررت وفكرة أخرى تبدو في الظاهر مختلفة، وردت في سياقات متتابعة. وأخيرا: بالنسبة للعلاقات النصية على امتداد القرآن؛ فأساليب التكرار تربط بين سياقات وقوعها المتنوعة من السور المختلفة عن طريق تمكين المعلومات الأخرى من أن تسهم في تفسير كل سياق من هذه السياقات المختلفة.

الخاتمة:

التكرار تقنية واسعة الانتشار في القرآن. لا تكاد تخلو سورة من السور الطويلة من قدر من أساليب التكرار الهامة، كما تغلب كذلك على السور القصيرة. ويمكن ملاحظة تردد أساليب التكرار الحرفية بكثرة في السور المكية عامة، لاسيما الحرفي المتتابع منها، بينما تميل السور المدنية على الجانب الآخر إلى الاعتماد على أسلوب تلخيص المفاهيم والقصص لكي توسع من مدى تأثير سياق موضع كل تكرار.

وتزيد بعض أساليب التكرار من المناسبة في السورة عندما تتعدد مواضع تكرار غرضitem ما داخلها، غير أن بعض أساليب التكرار تضيف إلى قيمة العلاقات الممتدة عبر النص، وذلك عندما يتكرر الموضوع نفسه بالطريقة نفسها أو بطريقة مختلفة في سور عدة. ومن ثم لا بد من التمييز بين ما يسهم به كل نوع من هذين النوعين من التكرار: التكرار داخل السورة والتكرار على امتداد النص القرآني.

وأخيرا تبرهن هذه الدراسة، في إطار نظرية المناسبة، أن أساليب التكرار القرآني الثلاثة لها قدرة عالية على أن تجعل أساليب التكرار الثلاثة تزيد من تأثير سياق المضمون الذي تعبر عنه في مواضع التكرار من الآيات؛ فالتكرارات قد تضيف للمؤشرات الخارجية أو تضيف للمؤشرات الضمنية، وقد تختزل المجهود الذي على المتلقي أن يبذله في استخلاص المعلومة التي تحملها هذه الآيات.[1]

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

- الأنصاري، ابن هشام: شرح شذور الذهب، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٧.
- حسن، عبد المنعم: ظاهرة التكرار في القرآن، القاهرة، دار المطبوعات الدولية، ١٩٨٠.
- زلط، محمود قاسم: قضايا التكرار في القصص القرآني، القاهرة، دار الأنصار،١٩٧٨.

١- بالإضافة لوظيفة الإبلاغ؛ نجد من شأن هذه التكرارات أن تقوم بتقوية المفاهيم التي تم الإبلاغ بها حين ذكر الموضوع من قبل باستمرار، فمن المهم لمن يذكِّر أن تكون جزءا من الدور الديني theological الذي أسند للقرآن و الذي تكرر التصريح به في مناسبات متعددة من النص نفسه. كما نجد في سورة الذاريات (الآيات ٥١-٥٥)، في قوله تعالى: "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين..."، وفي سورة غافر (الآيات ٤٠-٥٤) في قوله تعالى : " هدى وذكرى لأولي الألباب...".

- عبد الرحمن، عائشة: الإعجاز البياني للقرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧.
- الهاشمي، أحمد: جواهر البلاغة، بيروت، دار الفكر،١٩٨٦.

المراجع الأجنبية:

- Aitchison, Jean, ""Say, Say It Again, Sam": The Treatment of Repetition in Linguistics and Literature" in *Repetition*, ed., A. Fischer (Tubingen: Narr, 1994), 16–34.
- Al-Mahmoud, A. T. M., "Repetition and Redundancy in Arabic", PhD Thesis, Victoria University of Manchester, Manchester, 1989.
- Al-Mukharriq, H. A. (1992), *Repetition as an Effective Rhetorical Device in Arabic and English Argumentative and Expository Texts and their Translations*, MPhill Dessirtation, Harriot-Watt University.
- Attridge, Derek. (1994,) "*The Movement of Meaning: Phrasing and Repetition in English Poetry*", Repetition, Tubingen: Narr. 62–??
- Blackemore, D. (1992), *Understanding Utterance: An Introduction to Pragmatics*, Blackwell, Oxford.
- Blass, R. (1990), *Relevance Relations in Discourse*, Cambridge University Press, Cambridge.
- Johnstone, B. (1991), *Repetition in Arabic Discourse: Paradigms, Syntagms, and the Ecology of Language*, John Benjamins Publishing Company, Amsterdam/Philadelphia.
- Jucker, A. h. (1994), "*Irrelevant Repetitions: A Challenge to Relevance Theory*", Repetition, Tubingen: Narr. 47–60.
- Sperber, D. & Willson, D. (1986), *Relevance: Communication and Cognition*, Blackwell, Oxford.
- Tannen, Deborah (1989), *Talking Voices: Repetition, Dialogue and Imagery in Conversational Discourse*, Cambridge University Press, Cambridge.

* * *